IUGJEPS
Vol 30, No 2, 2022, pp522-551

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2-5-2021)، تاريخ قبول النشر (21-6-2021)

الهدايات التربوية والدعوية في قصة أصحاب الكهف

اسم الباحث: أ. أسامة شاهين العداسي

[1] اسم الجامعة والبلد: التفسير - الشريعة - الأردنية - الأردن

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Osama.shaheen86@gmail.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.2/2022/16

الملخص:

إن هذا البحث المسوم ب "**القدرة وتأثيرها على الفعل عند الجويني في ضوء معتقد ابن تيمية**"

يبرز أن القدرة لها تأثير على الفعل وفق ما ذهب إليه الإمام الجويني –حمه الله– في آخر حياته ووفق عقيدة الإمام ابن تيمية –رحمه الله– . فالحديث عن القدرة وتأثيرها على الفعل عند الإمام الجويني يتمثل من خلال بيان معتقده في القدرة، وهل لها تأثير على الفعل أم لا؟ وذلك من خلال مرحلتين، فالإمام الجويني كانت له تجربته الخاصة في العقائد وخاصة مسائل القدر، ونجدها مغايرة لغيره من علماء الأشاعرة، فقد كانت عبارة عن مرحلتين هامتين في حياته، تمثلت المرحلة الأولى باعتقاده بمعتقدات الأشاعرة وتقديمه العقل على النقل في الاستدلال، وفي تلك المرحلة فقد نفى الجويني أي تأثير للقدرة على الفعل وقد ذكر ذلك في كتابه الإرشاد والشامل، بينما نجده في المرحلة الثانية من حياته فقد تُوجت بالرجوع إلى مذهب السلف، والاستدلال بنصوص الكتاب والسنة وتقديمها على العقل، فهي تعتبر صمام الأمان للبشرية جمعاء، وفي هذه المرحلة عندما تقرأ للإمام الجويني فكأنما تقرأ لعالم آخر، ويظهر ذلك من خلال كتاب النظامية فقد اختلفت آراء الجويني عما كان يعتقده من قبل في كتبه السابقة، فقد تحول إلى نقيض مذهبه القائل بعدم تأثير القدرة في الفعل إلى القول بتأثيرها على الفعل والمقدور، وهو بذلك قد وافق ما عليه الإمام ابن تيمية من إثبات أن القدرة لها تأثير على الفعل، لكنها غير مستقلة بالتأثير بل تتوقف على أسباب هيأها الله لحدوث الفعل، الفعل وهذا البحث يبين كلا المرحلتين.

كلمات مفتاحية: سورة الكهف، قصة أصحاب الكهف، الهدايات القرآنية، الدلالات التربوية، الإشارات الدعوية.

Educational and advocacy Guidance in the story of the companions of the cave

Abstract:

This research talks about the Quranic guidance learned from the story of the companions of the Cave, in the educational and advocacy fields.

The research dealt with a definition of Guidance in terms of language and convention, and an outline definition of some aspects of Surat Al-Kahf, and the story of the companions of the Cave in particular.

In my research, I reached, using the story, to a set of educational connotations, which can be considered as a partial model for the educational system, so that each indication is suitable as a beacon by which the believer enlightens, to deepen his faith, increase his certainty, and control his behavior. I added to it a set of advocacy signals drawn from the same story, perhaps benefiting the workers to spread Islam, so that it would represent the core of a methodology for advocacy work, whether it is individual or collective.

This study represents a simplified model for the idea of deducing Guidance from the Qur'an, extracting the possible signs from it, and the possibility of projecting them as a practical reality, in which the direct application of the Holy Qur'an as it is a method for life and a constitution for all people.

Keywords: Surat Al-Kahf, The Story of the Companions of the Cave, Qur'anic Guidance, Educational Signs, Advocacy References.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

أورد الله تبارك وتعالى القصص في كتابه العزيز، وجعل لها نصيبًا كبيرًا منه، وقد تنوعت هذه القصص في مقاصدها وأهدافها، ولله تعالى الحكمة في كل ذلك، فما أورد الله تعالى من قصة في سورة معينة، إلا وكانت القصة خدمة للهدف المقصود منها، وجاءت دعمًا للفكرة الأساس في السورة بمجملها، وكانت ضمن مكانها وسياقها.

وهذا بحث حول قصة من قصص القرآن الكريم، وهي قصة أصحاب الكهف؛ يتناول هداياتها التربوية والدعوية، سعيًا لتفعيل دور القرآن الكريم في الحياة، وتطبيق كونه منهجاً ودستوراً للناس أجمعين، فكان عنوان البحث كالآتي: "الهدايات التربوية والدعوية في قصة أصحاب الكهف".

حدود الدراسة

هذه الدراسة محددة بالحدود الآتية:

أولًا: ميدان الدراسة: هو في قصة أصحاب الكهف من خلال الآيات المتعلقة بها في سورة الكهف.

ثانيًا: مقصود الدراسة: هو الهدايات القرآنية، وليس البحث معنيًا بتفسير الآيات تفسيرًا تحليليًا أو الوقوف على اللطائف اللغوية والإعجازية وغيرها، إلا ما استدعاه البحث لاستنباط الهدايات القرآنية.

ثالثًا: مجال الدراسة: يقتصر هذا البحث على مجالين فقط للهدايات القرآنية، وهما المجال التربوي والمجال الدعوي.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى ما يأتي:

أولًا: الوقوف على الهدايات القرآنية المستفادة من قصة أصحاب الكهف.

ثانيًا: تفعيل دور القرآن الكريم في بناء منهج العمل التربوي.

ثالثًا: إظهار توجيهات القرآن في ميدان الدعوة لصياغة منظومة العمل الدعوي.

رابعًا: بناء نموذج لاستنباط الهدايات من القصص القرآني.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تتمثل مشكلة الدراسة في الكشف عن هداية القرآن للمربين والدعاة، وإظهار إرشاداته المستفادة من قصة أصحاب الكهف، فيما يمكن تطبيقه على أرض الواقع، لتفعيل رسالة القرآن في الحياة.

فكان البحث إجابةً لأسئلة الدراسة الآتية:

أولًا: ما هي الهدايات المستفادة من قصة أصحاب الكهف في الجانب التربوي؟

ثانيًا: ما هي الهدايات المستفادة من قصة أصحاب الكهف في الجانب الدعوي؟

ثالثًا: كيف السبيل إلى تطبيق تلك الهدايات على أرض الواقع؟

منهجية الدراسة

سلكت في هذا البحث المنهجين الآتيين:

أولًا: المنهج التحليلي: من خلال دراسة الآيات القرآنية، وتحليل النظم القرآني، والوقوف على مدلولات الألفاظ والتراكيب، وأسرار التعبير القرآني.

ثانيًا: المنهج الاستنباطي: ويظهر من خلال استنباط الهدايات القرآنية والإرشادات الربانية التي تعالج واقع الحياة.

الدراسات السابقة

وجدت في دراسات الباحثين، وكتابات العلماء والمفسرين، فيما يتعلق بموضوع هذا البحث – مجموعةً من الكتب العلمية والأبحاث المحكمة، ذات العلاقة بقصة أصحاب الكهف، ومن ذلك:

بحث بعنوان: (تأملات في قصة أصحاب الكهف لأحمد الشرقاوي"، وكتاب بعنوان: (تأملات في سورة الكهف لأبي الحسن الندوي"، وكتابٌ آخر متعلق بالقصص القرآني بصفة عامة، وهو كتاب (مع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي". هذا، إضافة إلى كتب التفسير بشكل عام.

وقد أطلت النظر في كتب التفسير، قديمها وجديدها، ولكني لم أجد بغيتي فيما يتعلق بموضوع البحث، إلا في قليل منها، في كلام متناثر ضمن تفسير الآيات، وليس مخصصًا في جانب تربوي أو دعوي، اللهم إلا في عدد قليل منها.

أما من جانب المراجع الثلاث التي ذكرتها بداية، فقد أفدت منها في جوانب معينة، بحيث احتوت في ثناياها فقرات تتعلق بموضوع البحث، ولكنها لم تُلمَّ بما أردته من هذه الدراسة، وقد احتوت كثيرًا من الموضوعات زيادةً عليه، وجوانبَ كثيرةً تتعلق بالسورة لم تكن مقصودةً لديّ.

الجديد في هذه الدراسة

كان ما دفعني لكتابة هذا البحث، وما وجدته قد يكونُ إضافةً علمية، وما يمكن أن يكون جديدًا فيه – تسليطُ الضوء بصفة خاصة على الجوانب التربوية والدعوية، واستنباطُ الدلالات والإشارات من الآيات القرآنية، ومحاولةُ إسقاطها في واقع الحياة المعاصرة، على شكل توجيهات، تشكل بمجموعها جزءًا من المنظومة التربوية، ومنهجية العمل الدعوية.

وكذلك – كان من الجديد – ترتيبُ فقرات هذا البحث، ليس ليكون تفسيرًا تحليليًا، وإنما هو بحث في الهدايات القرآنية، وتطبيقٌ مباشر عملي، لغاية القرآن ومقصده، والهدف من وجوده وتنزُّله، ليكون دليلًا للمربين والمتربين، والدعاة والعاملين، ليسهل عليهم البحث، وليجمع لهم الفائدة، على شكل نقاط محددة، كتوجيهات مباشرة من القرآن الكريم، وذلك كالذي يجلس أمام مربٍّ يستمع لنصائحه وإرشاداته، أو مقابل داعيةٍ محنَّك ينتظر أوامرَه وإشاراتِه.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في الأمور الآتية:

أولًا: أنه يقدم دراسة تحليلية لقصة أصحاب الكهف من الآيات القرآنية، للوقوف على دلالاتها وأسرار التعبير فيها.

ثانيًا: الإفادة من الدلالات التربوية والإشارات الدعوية المستفادة من قصة أصحاب الكهف.

ثالثًا: يمثل هذا البحث نموذجًا تطبيقيًا لمنهجية استنباط الهدايات القرآنية من الآيات.

رابعًا: تشجيع الدارسين وقراء القرآن الكريم على تدبر القرآن، ومحاولة الوصول لأسراره وفوائده وهداياته.

خطة البحث

جعلتُ هذه الدراسة في أربعة مباحث رئيسة؛ تناولت في المبحث الأول منها تعريف الهدايات لغة واصطلاحًا، وجعلت المبحث الثاني للتعريف ببعض جوانب سورة الكهف، والمبحث الثالث منه للهدايات التربوية من قصة أصحاب الكهف، وهي خمس هدايات، وجعلت في المبحث الرابع والأخير الهدايات الدعوية من القصة، وهي أيضًا خمس هدايات.

فتكون خطة البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالهدايات القرآنية:

المطلب الأول: الهدايات لغةً.

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية اصطلاحًا.

المبحث الثاني: التعريف بسورة الكهف وقصة أصحاب الكهف:

المطلب الأول: سبب نزول آيات قصة أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: أهداف قصة أصحاب الكهف في ضوء مقاصد سورة الكهف.

المطلب الثالث: عرض موجز لقصة أصحاب الكهف بحسب السياق القرآني.

المبحث الثالث: الهدايات التربوية:

الهداية الأولى: مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والعطاء.

الهداية الثانية: قوة العقيدة هي مفتاح الخير.

الهداية الثالثة: الدعاء سر النجاح.

الهداية الرابعة: ترك الانشغال بما لا يبنى عليه عمل.

الهداية الخامسة: تحري الحلال حتى في اللقمة.

المبحث الرابع: الهدايات الدعوية:

الهداية الأولى: لا بد من فئةٍ تجهر بالدعوة.

الهداية الثانية: الحرب حرب العقيدة.

الهداية الثالثة: الثقافة الأمنية ضرورية للبقاء.

الهداية الرابعة: الباطل هو المتهم.

الهداية الخامسة: الداعية أجيرٌ له أجره، وللدعوة مالكها.

وحسبي من دراستي هذه، أن تكون خطوة على الطريق، وقطرة من بحر هدايات القرآن، فإني لا أدعي إحصاء الدلالات، ولا تحصيلَ جميع الإشارات، ففي كتاب الله تعالى كنز دفين، لا يظهر إلاَّ لمن توجه إليه بصدق نية، وأطال البحث والنظر بتأنٍّ وروية.

وأسأله تعالى أن يرزقني الإخلاص في أعلى درجاته، وأن يوفقني في هذا البحث لنهايته، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأن يغفر لي خطئي وزللي فيه، اللهم آمين.

المبحث الأول: التعريف بالهدايات القرآنية

المطلب الأول: الهدايات لغةً

أولًا: الجذر "هَدْيٌ" في المعاجم اللغوية:

جاء في معجم العين قوله: "الهَدِيَّةُ: ما أهديت إلى ذي مودّة من برٍّ ويجمع: هدايا ... والهُدَى: نقيضُ الضَّلالة. والهادي من كلِّ شيءٍ: أَوَّلُهُ. أقبلتْ هَوادي الخَيْل، أي: بَدَتْ أعناقُها ... والدَّليلُ يُسَمَّى هاديًا، لتقدُّمهِ القومَ بهدايته"(1).

وذكر ابن فارس أن "الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلَانِ؛ أَحَدُهُمَا التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ، وَالْآخَرُ بَعْثَةُ لَطَفٍ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ ... وَمِنَ الْبَابِ قَوْلُهُمْ: نَظَرَ فُلَانٌ هَدْيَ أَمْرِهِ أَيْ جِهَتَهُ، وَمَا أَحْسَنَ هِدْيَتَهُ، أَيْ هَدْيَهُ. وَيَقُولُونَ: جَاءَ فُلَانٌ يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ، إِذَا كَانَ يَمْشِي بَيْنَهُمَا مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا ... وَالْأَصْلُ الْآخَرُ الْهَدِيَّةُ ... وَالْمِهْدَى: الطَّبَقُ تُهْدَى عَلَيْهِ ... وَالْهَدْيُ وَالْهَدِيُّ: مَا أُهْدِيَ مِنَ النَّعَمِ إِلَى الْحَرَمِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"(2).

ونقل الجوهري في الصحاح: "قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) [السجدة: ٢٦] قال أبو عمرو بن العلاء: أولم يبين لهم، وهَدَيْتُهُ الطريق والبيت هِدايَةً، أي عرفته؛ هذه لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هَدَيْتُهُ إلى الطريق وإلى الدار"(3).

ويقول الراغب: "وخصّ ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت؛ نحو: أهديت الهديّة، وهديت إلى البيت ... وعدّي الهِدَايَةُ في مواضع بنفسه، وفي مواضع باللام، وفي مواضع بإلى ... والهُدَى والهِدَايَةُ في موضوع اللّغة واحد لكن قد خصّ الله عزّ وجلّ لفظة الهدى بما تولّاه وأعطاه، واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان ... والاهْتِدَاءُ يختصّ بما يتحرّاه الإنسان على طريق الاختيار، إمّا في الأمور الدّنيويّة، أو الأخرويّة ... والْمِهْدَاءُ: من يكثر إهْدَاءَ الهديّة"(4).

ثانيًا: خلاصة المعنى اللغوي:

تقول: هَدَى، يَهْدِي، "هُدًى وهَدْيًا وهِدَايَةً وهِدْيَةً"(5). وهي بمعنى الدلالة والإرشاد والتبيين. وهو الأصل الجامع لكل معانيها بجميع صيغها ومشتقاتها؛ وما عداه من المعاني يكون منقولًا عنه. وهي تستعمل في الدلالة الحسية، كقولك: "هديته إلى الطريق"، وفي الدلالة المعنوية، كقولك: "هديته إلى الإيمان".

والفعل الأصلي "هَدَى" هو فعل متعدٍّ لمفعولين؛ وقد يتعدى لمفعوله الثاني بنفسه، أو باللام أو بـ إلى؛ تقول: هديته الطريق وللطريق وإلى الطريق، بمعنى: دللته عليه وأرشدته إليه وبينته له. وفي التنزيل الحكيم: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: ٦]، (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) [الأعراف: ٤٣]، (وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الأنعام: ٨٧].

وصيغ المادة من الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي، تحمل ذات المعنى في جميع مشتقاتها وتصريفاتها، فالماضي "هَدَى" دل وأرشد وبيَّن، واسم الفاعل "الهادي" الدالُّ المرشِد والمبيِّن، والخماسي "اهتدى" الذي يفيد المطاوعة يدل على تحقق مغزى الدلالة ومقصودها، وحصول الرشاد والتبيُّن، تقول: هديته فاهتدى، وعلى هذا فالفعل الخماسي لازم، وقد يتعدى بحرف جر، تقول: اهتدى الرجلُ إلى الطريق. وهكذا في سائر المشتقات.

(1) الفراهيدي، العين (ج4/77-78) (بتصرف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج6/42-43) (بتصرف).
(3) الجوهري، الصحاح (ج6/2533-2534).
(4) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن (ص835-840) (بتصرف).
(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص1345-1346).

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية اصطلاحًا

بالنظر لمركب "الهدايات القرآنية" فهو مركب نعتي، تم فيه تقييد مصطلح الهدايات بوصف القرآنية، ولم يتعرض له العلماء قديمًا – في حدود بحثي واطلاعي – كمصطلح محدد بهذا التقييد والوصف، وإنما بحثوا مصطلح "الهداية" في استعماله القرآني، خصوصًا مع ارتباطه بعلم العقيدة والإيمان.

ورد في كتاب التعريفات للجرجاني قوله: "الهداية: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب"[(1)].

وقد اختُلف في المعنى الاصطلاحي لمفردة "الهداية" في الاستعمال الشرعي والقرآني؛ يقول أبو البقاء الكفوي في الكليات: "الهداية هي عند أهل الحق الدلالة على طريق من شأنه الإيصال؛ سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل. وعند صاحب "الكشاف" لا بد من الإيصال البتة؛ لأن الضلالة تقابلها، فلو كانت الهداية مجرد الدلالة لأمكن اجتماعهما بالضلالة التي هي فقدان المطلوب، ولأن المهدي يستعمل في مقام المدح كالمهتدي، فلو لم يعتبر في مفهوم المهدي حصول المطلوب كما اعتبر في المهتدي لم يكن مدحًا"[(2)].

وقد أطال الكفوي في بحث المسألة وبيان الراجح فيها مع ذكر ما ينقض الأقوال المرجوحة، ولكنه خلص إلى قول: "ثم إن الهداية لا نزاع في أنها تستعمل في كلا المعنيين: معناها اللغوي وهو مذهب الأشاعرة، ومعناها الشرعي وهو مذهب المعتزلة، وعليه أكثر استعمالات الشرع، لكن الكلام في أنها حقيقة فيهما أو في أحدهما أو في أيهما"[(3)]، وقد أحسن الكفوي في توجيه الخلاف بهذا التعقيب، إذ إن اللغة تستعمل لفظ الهداية لكلا المعنيين.

جاء في كتاب دستور العلماء قوله: "والحق أن الهداية لفظة مشتركة بين المعنيين المذكورين ... يستعمل المعنى للدلالة على ما يوصل بالقرائن مثل: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) [فصلت: ١٧] وأحيانًا بمعنى الدلالة الموصولة مثل: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) [القصص: ٥٦] وتفصيل القرائن هو أن الهداية أحيانًا متعدية إلى مفعول ثان بنفسها مثل: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: ٦]. وأحيانًا متعدية بـ "إِلَى" مثل: (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [البقرة: ٢١٣] وأحيانًا أخرى بـ "اللَّام" مثل: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: ٩] أي يهدي الناس للتي "أي للطريقة" التي هي أقوم. وعندما تكون متعدية بنفسها تكون بمعنى الإيصال إلى المطلوب، وإذا كانت متعدية بـ "إلى واللام" تكون بمعنى إراءة الطريق"[(4)].

وأعتقد أن مرد الخلاف في المعنى المصطلحي راجع إلى أن الاسم "الهداية" يحمل معنيين، فقد يكون بمعنى "الدلالة والإرشاد" باعتبار الفاعليَّة، أو بمعنى "تحقق الدلالة والرشاد" باعتبار المفعوليَّة. وبيان ذلك بالآتي: إذا كان مأخوذًا من مصدر الثلاثي "هدى، هدىً، وهدايةً، فهو هادٍ" فيكون متعديًا كفعله؛ بمعنى: الدلالة والإرشاد والتبيين. وإذا كان مأخوذًا من مصدر الخماسي "اهتدى، اهتداءً، وهدايةً، فهو مهتدٍ" فيكون لازمًا كفعله؛ بمعنى: تحقق مغزى الدلالة وحصول الرشاد، وهي بمعنى: نقيض الضلال. والله أعلم. فيكون المعنيان صحيحين ومقصودين، والذي يميز بينهما السياق والاستعمال.

أما بالنظر للمركب النعتي "الهدايات القرآنية" فإن المعنى المراد لمفردة "الهدايات" هو المعنى الأول؛ وهو ذات الدلالة، وليس تحقق مقصودها في الجهة المهديَّة، وهو المعنى الذي يتسق مع موضوع الهدايات القرآنية وميدانها.

ومفردة "الهدايات" جمع "هداية"، وهي في أصلها مصدر الكلمة – كما مر سابقًا – تقول: "هدى، يهدي، هدى وهداية". والمصدر في معناه الصرفي: هو ما يدلّ على المجرّد من الفعل أي ما يدل على ذات فعل الهداية بصفة مجردة؛ فهو لا يدل على

(1) الجرجاني: الشريف، التعريفات (ص256).

(2) الكفوي، الكليات (ص952).

(3) المرجع السابق، ص953.

(4) نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (ج4/131-132) (بتصرف).

زمن حدوث الفعل، ولا على من قام بالفعل، فلا يثنى ولا يجمع، ولا يؤنث ولا يذكر[1]. وعلى اعتبار جمع الكلمة؛ تكون المفردة انتقلت من المصدرية المجردة إلى كونها "اسمًا" يعبر عن شيء تتحقق فيه صفة الدلالة والإرشاد، وهي هنا مقيدة بكونها "قرآنية"، فيكون محلها آياتِ القرآن العظيم وتراكيبَه وألفاظَه.

وخلاصة القول؛

الهدايات القرآنية: "هي الدلالات المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر"[2].

وقد أضيف قيد "التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر" لبيان ارتباط الهدايات بكونها دالَّة على عمل معين. وهنا يتبين الفرق بين الهدايات والتفسير، إذ إن التفسير هو "بيان معاني القرآن الكريم"[3]، بينما الهدايات هي ما يستنبط من القرآن الكريم في الجانب العملي في حياة الناس، فيكون التفسير مرحلة سابقة لاستنباط الهدايات، ومتقدمة عليها؛ فالهدايات القرآنية هي ما يتحقق به كون القرآن هداية للعالمين، ولا يكون ذلك بمجرد فهمه وتفسيره، وإنما من خلال إرشاداته العملية في الواقع؛ أي إن الجانب النظري من القرآن الكريم المتعلقَ بفهم مقصوده وتفسير آياته وجمع لطائفه اللغوية والتفسيرية ليس مقصودًا في حدود هذا التعريف، وإنما يعتبر الممهدَ لاستنباط الهدايات العملية منه.

(1) ينظر: الجرجاني: عبد القاهر، المفتاح في الصرف (ص52). والمبرد، المقتضب (ج299/4). وابن السراج، الأصول في النحو (ج39/1، 159).

(2) طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (ج44/1).

(3) الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص73).

المبحث الثاني: التعريف بسورة الكهف وقصة أصحاب الكهف

المطلب الأول: سبب نزول آيات قصة أصحاب الكهف

ورد في سبب نزول هذه القصة عدة روايات، وهي تفيد بمجموعها أن الله تعالى أنزل في النضر بن الحارث ثماني آيات من القرآن، قول الله تعالى: (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [القلم: 15] وكلّ ما ذكر فيه الأساطير من القرآن[1]، فلما قال النضر ذلك، بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلوهم عن محمد وصِفوا لهم صفته، وأخبِروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأُول، وعندهم علمُ ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفوا لهم أمره، وأخبروهم ببعض قوله، وقالوا لهم: إنكم أهل التوراة، فقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فرُوا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟، فإنه كان لهم حديثٌ عجيبٌ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟، وسلوه عن الروح ما هو؟، فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبرْكم فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

أقبل النضر بن الحارث وصاحبه حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرَنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، وأخبَروهم بها، فجاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، جئنا نسألك عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، كان لهم حديثٌ عجيبٌ، ما كان من أمرِهم؟، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وعن الروح ما هو؟

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُخبركم عما سألتم عنه غدًا، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله تعالى إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدًا، واليوم خمس عشرة ليلة، وقد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه.

أحزن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مكثُ الوحي عنه، وشق عليه ما تكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله تعالى بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وأنزل الله تعالى أمر الروح في سورة الإسراء، يقول الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: 85].

ومما قاله اليهود: إن أجابكم عن الثلاثة فليس بنبيّ، وإن أجاب عن اثنتين وأمسك عن الأخرى فهو نبيّ. فأنزل الله سورة أهل الكهف وأنزل بعد ذلك أمر الروح في سورة الإسراء[2].

وقد نقلت هذه الرواية من مجموع مرويات متعلقة بسبب نزول آيات قصة الكهف، وهي وإن لم يتفق العلماء والمفسرون على صحتها إلا أن لها من الشواهد ما يقويها، يقول مصطفى مسلم تعقيباً على ذلك: "وهذه الرواية وإن تكلم بعضهم في سندها وأن فيها رجلًا مجهولًا، فإن واقع السورة وما ورد فيها من صيغ الاستفسار منهم كقوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) وقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ) وقوله تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ). كل

(1) ينظر سور: الأنعام 25. الأنفال: 31. النحل: 24. المؤمنون: 83. الفرقان: 5. النمل: 68. الأحقاف: 17. القلم: 15.

(2) ينظر: ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق (ص201-202). والنيسابوري، أسباب نزول القرآن (ص300). وأبو حيان، البحر المحيط (ج135/7). والسيوطي، لباب النقول (ص13). وقد رجعت إلى تعليقات المحققين على كتب أسباب النزول ناظراً في حكمهم على الروايات، فوجدتهم قد أثبتوا بعض أجزائها وحكموا بصحتها، وسكتوا عن أجزاء أخرى، وحكموا على بعض أجزائها بالضعف، ويمكن الخلوص إلى كون القصة بمجملها صحيح، ولكن التفاصيل اختلف في تصحيحها بحسب المرويات المنقولة، والله أعلم. ينظر: النيسابوري، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام الحميدان (ص291). والنيسابوري، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال زغلول (ص299-300). والهلالي، وآل نصر، الاستيعاب في بيان الأسباب (ج453/2-454 و470-471).

ذلك يؤكد حادثة الاستفسار من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفتية، وعن الرجل الطواف، وعن نسيان ذكر المشيئة"[1].

ويمكن أن يستخلص من مجموع هذه الرواية عدة إشارات متعلقة بسياق هذا البحث، من فوائد دعوية وتربوية؛ منها أن المواجهة ستبقى بين أهل الحق وأهل الباطل على مدى الأزمان، وأن من أهل الباطل من لا يدفعه عن غيه شيء، حتى لو رأى الحق بأم عينيه، ذلك لأنه مستكبر بباطله مطمئن إليه. فاليهود يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم، يعرفونه بصفته التي هو عليها، كما قال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [البقرة: 146].

ومما تفيده القصة أن أهل الباطل يركنون إلى بعضهم البعض، ويتعاونون فيما بينهم؛ حيث لجأ المشركون لإخوانهم اليهود، وطلبوا مساعدتهم. وإن على أهل الحق بمقابلة ذلك أن يلجؤوا إلى الله تعالى في كل شيء، وأن يستعينوا بالله تعالى في مقابلة كل أمر، وأن يعيدوا كل شيء للمشيئة المطلقة، وأن يرضوا بقضاء الله تعالى، ويطمئنوا لتدبيره.

المطلب الثاني: أهداف قصة أصحاب الكهف في ضوء مقاصد سورة الكهف

علم المقاصد للسور القرآنية من أَجَلِّ العلوم، بل هو العلم المقصود أساسًا من تنزل القرآن الكريم، فالقرآن كتاب هداية للبشر، ولا تظهر جوانب هدايته لهم إلا من خلال معرفتهم بغاياته، وإدراكهم لأهداف إيراد آياته.

والباحث عن مقاصد سورة الكهف، والغايات من إيراد القصص فيها، يجد تآلفًا عظيمًا، وتوافقًا كبيرًا بين المقاصد الأساسية للسورة، والقِصص الواردة فيها.

وقد تكلم الباحثون والمفسرون فأجادوا، وأبدعوا وأفادوا، في بيان مقاصد هذه السورة، والقضايا الكلية التي أُنزلت بقصد علاجها، وبيان المقصد من قصة أصحاب الكهف على وجه الخصوص، مع توضيح الروابط بينهما، وجوانب التناغم بين السورة بكليتها والقصة بجزئيتها.

نستعرض وإياكم فيما يلي جوانبَ متنوعةً، من مقاصد هذه السورة العظيمة:

أولًا: إصلاح الحياة الدنيا بالنظام الرباني الذي أقامه الله تعالى فيها:

نقل البقاعي عن الإمام التفتازاني الشافعي رحمه الله "أن كل سورة افتتحت بالحمد، فللإشارة إلى نعمة من أمهات النعم، التي هي: إيجاد وإبقاء أولًا، وإيجاد وإبقاء ثانيًا، وأنه أشير في الفاتحة لكونها أم الكتاب إلى الأربع ... وفي الأنعام إلى الإيجاد الأول وهو ظاهر، وفي هذه السورة – سورة الكهف – إلى الإبقاء الأول، فإن نظام العالم وبقاء النوع الإنساني يكون بالنبي والكتاب"[2].

وهما اللذَين وردا في مطلع السورة، يقول تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا) [الكهف: 1].

وعلى هذا، يكون مقصد السورة، الحديث عن أمر الحياة الدنيا، والنظام الذي جعله الله تعالى سببًا في صلاح حالها، واستقامة أمرها، وقد ابتدأت السورة بذكر معالم هذا النظام، من أول آية فيها، فبوجود النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب، يتمثل النظام الرباني، وتكون الشريعة السماوية.

وقد أيد الإمام برهان الدين البقاعي ذلك، فقال: "ويؤيده أنه في هذه السورة ذكر أنه انتظم بأهل الكهف أمر من اطلع عليهم من أهل زمانهم، ثم بالخضر عليه السلام كثير من الأحوال، ثم بذي القرنين أمر جميع أهل الأرض، بما يسر له من الأسباب التي منها السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج، الذين يكون بهما – إذا أخرجهم الله تعالى – فساد الأرض كلها"[3].

فيكون الربط بين مقصد السورة ككل، وقصة أصحاب الكهف على وجه الخصوص، من ناحيتين:

الأولى: في كون الفتية قد صلح أمرهم، واستقامت حياتهم، لسيرهم على النهج الرباني المتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم

(1) مسلم: مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي (ص174).

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج4/12) (بتصرف).

(3) المرجع السابق، ص4.

والكتاب.

الثانية: انتظام أمر الناس الذين شهدوا هؤلاء الفتيةَ وقصتَهم في الكهف، وصلاحُ حالهم لِما شاهدوه من هذه الآية الربانية.

ثانيًا: تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة:

وهذا ما ذكره سيد قطب في تفسيره فيما يتعلق بمقاصد سورة الكهف، وهي من وجهة نظره ثلاثة مقاصد كلية، عنتْها آياتُ السورة والقِصصُ الواردة فيها.

وقد بيَّن تفصيل ذلك في كتابه، ودلل على كلامه باستعراض آياتٍ من سورة الكهف، وما يكون فيها من تأكيد لهذه المقاصد الثلاث، أما بشأن قصة أصحاب الكهف، فيرى سيد قطب التناغم بين القصة، والمقاصد الثلاث للسورة.

فهو يقول بشأن المقصد الأول: "ويلمس سياق السورة هذا الموضوع – وهو تصحيح العقيدة – مرات كثيرة في صور شتى، ففي قصة أصحاب الكهف، يقول الفتية الذين آمنوا بربهم: (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) [الكهف: 14]، وفي التعقيب عليها: (مَا لَهُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) [الكهف: 26]"[1].

ويقول في المقصد الثاني: "أما تصحيح منهج الفكر والنظر فيتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به علم، والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان، وفي توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، وما لا علم له به فليدع أمره إلى الله تعالى ... والفتية أصحاب الكهف يقولون: (هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) [الكهف: 15]، وعندما يتساءلون عن فترة لبثهم في الكهف يكلون علمها لله: (قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) [الكهف: 19]. وفي ثنايا القصة إنكار على من يتحدثون عن عددهم رجما بالغيب: (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا) [الكهف: 22]"[2].

ويقول في المقصد الثالث: "فأما تصحيح القيم بميزان العقيدة، فيرِد في مواضع متفرقة، حيث يرُدُّ القيم الحقيقية إلى الإيمان والعمل الصالح، ويصَغِّر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار. فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته إلى فناء وزوال: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)) [الكهف: 7–8]. وحمى الله أوسع وأرحب، ولو أوى الإنسان إلى كهف خشن ضيق، والفتية المؤمنون أصحاب الكهف يقولون بعد اعتزالهم لقومهم: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا) [الكهف: 16]"[3].

ثالثًا: الصراع بين الإيمان والمادية:

ألف أبو الحسن الندوي كتابًا خاصًا بسورة الكهف، وقد جعل اسمه دالًا على مقصد السورة عنده، وهو: "تأملات في سورة الكهف، الصراع بين الإيمان والمادية"، فاعتبر الندوي أن سورة الكهف يربط آياتها وموضوعاتها خيط واحد، وعليه مدار السورة. ولنستمع إليه إذ يقول: "وجدت السورة كلها خاضعة لموضوع واحد، أستطيع أن أسميه "بين الإيمان والمادية" أو "بين القوة المصرِّفة لهذا الكون «هو الله»، وبين الطبيعة أو الأسباب"، ووجدت جميع الإشارات أو الحكايات أو المواعظ والأمثال، دائرة حول هذا المعنى، تشير إليه من طريق جليّ أو تنظر إليه من طرف خفي"[4].

ويقول: "إن سورة الكهف قصة الصراع بين النظرتين والعقيدتين والنفسيتين، صراع بين الإيمان بالمادة وما يتبعها، وبين

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2257/4).

(2) المرجع السابق، ص2257–2258 (بتصرف).

(3) المرجع نفسه، ص2258.

(4) الندوي، تأملات في سورة الكهف (ص10).

الإيمان بالغيب والإيمان بالله، وشرح لما يتبع كل نظرة من العقيدة، والعمل والأخلاق، والنتائج والآثار"[1].

فالصراع هو مدار موضوعات السورة وقصصها جميعها، ومنها قصة أصحاب الكهف، إذ هي تمثل صراع فئة مؤمنة تمثلت بأصحاب الكهف، مع جموع الكفر والاستبداد، ممثلين بحاكمهم الظالم وأعوانه، وهو صراع بين ربانية مؤمنة مستسلمة لخالقها، وبين مادية كافرة متبعة لهواها، ولا تؤمن إلا بدنياها.

رابعًا: تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلبه ومَن آمن معه أمام المحن والابتلاءات:

القرآن الكريم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعالج واقعاً كان يعيشه الناس حين نزل، ومخطئ من أراد فهم كتاب الله تعالى بمعزل عن الواقع الذي نزل فيه، فلا بد للدارس من معرفة الحال الذي كان يعيشه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، والصراعات التي كانت تواجههم، عند تنزل هذه السورة العظيمة، لنفقه جانبًا من الحكمة الربانية في علاج المواقف وتوجيه الأحداث.

نزلت سورة الكهف في العهد المكي، حيث لقي الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه كثيرًا من المحن والابتلاءات، على طريق الدعوة الذي حُفَّ بالعقبات والمكاره، فجاءت قصة أصحاب الكهف تسلية وتسرية وتثبيتا لقلب رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم[2].

وقد نزلت هذه القصة، وما زال المسلمون الأوائل يلقون أشد صنوف البلاء، ويتذوقون ألوانًا من العذاب، وأشكالًا من السخرية والاستهزاء، نزلت لتكون حجة ساطعة تشهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم.

خامسًا: ترسيخ الإيمان في القلوب:

والقصة كذلك ترسخ الإيمان في القلوب، وتزيد من ثبات المؤمنين أمام الفتن، وهي رسالة مباشرة إلى الصحابة الكرام رضي الله عنه، أن اصبروا مع نبيكم، وتمسكوا بكتابكم، وأبشروا بالنصر والتمكين، كما انتصر أولئك الفتية العزل، على جموع الكفر في زمانهم، بتأييد من ذي العرش المجيد، وبأمر ممن لا يزول ملكه ولا يبيد.

فقد كانت القدرة الربانية هي الغالبة، وكانت نهاية الكافرين بصورة لم يتخيلها أحد، بل ولم تكن حتى في تصور أولئك الفتية المؤمنين، أن يناموا ويستيقظوا، فإذا بالحال يتبدل، وموازينِ القوى تتغير، بالأمس كان الكفر يهدد ويتوعد بطغيانه وجبروته، واليوم هو ساكن تحت التراب.

سادسًا: سورة الكهف هي سورة الثبات أمام الفتن:

ومن ناحية قريبة من المعنى السابق، فإن هذه السورة تعرض في ثناياها مجموعة من القصص، بحيث تختص كل قصة بجانب أو أكثر من جوانب الفتن التي قد يتعرض لها المسلم في حياته؛ "ففي قصة أصحاب الكهف ذكرت فتنة السلطان، وفي قصة صاحب الجنتين عرضت فتنة المال والرجال، وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام عرضت فتنة العلم –ولو بشكل خاص– وفي قضية ذي القرنين عرضت فتنة الأسباب، والعلم التجريبي التطبيقي"[3].

ولعل هذا ما جعل هذه السورة، تقي من فتنة المسيح الدجال، حيث روي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[4]؛ أي أن "هذه السورة الكريمة من تدبرها ولجأ إليها كانت له كالكهف الحصين من الفتن جميعها، كما ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان الوضع الذي لجأ إليه الفتية كهفًا محسوسًا ملموسًا، فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله سبحانه وتعالى وحفظه وستره

(1) الندوي، تأملات في سورة الكهف (ص23).

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج245/15).

(3) مسلم: مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي (ص178).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/فضل سورة الكهف وآية الكرسي، 555/1: رقم الحديث 809].

فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة ولو كانت مثل قطع الليل المظلم"[1].

المطلب الثالث: عرض موجز لقصة أصحاب الكهف بحسب السياق القرآني

الآيات التي تكلمت عن قصة أصحاب الكهف في السورة تسع عشرة آية، تبتدئ بالآية التاسعة، وتنتهي بالآية السابعة والعشرين، ونذكر هنا أحداث القصة باختصار، بالاعتماد على ما كتب في تفسير الآيات بصورة مجملة[2].

ابتدأ السياق القرآني بعرض أحداث القصة بطريقة مميزة، من شأنها أن تلفت انتباه القارئ إلى ما سيلي من آيات وأحداث، إذ كان البدء بسؤال إنكاري: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) [الكهف: 9]؛ والمعنى: "أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا، فإنَّ ما خلقتُ من السماوات والأرض وما فيهنّ من العجائب، أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي"[3]، وفي هذا الاستفهام، يكون التحفيز الذهني لما يترتب عليه، فيبادر القارئ بسؤال آخر: وما أمر هؤلاء؟ ما قصة أصحاب الكهف؟ وما العجب الذي في هذه القصة؟ فيأتي القرآن بعرضٍ موجزٍ سريعٍ لهذه القصة، إجابة على هذا التساؤل، يقول تعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)) [الكهف: 10-12].

ولا يكفي هذا العرض الموجز السريع، ليكون جوابًا شافيًا عن ذاك التساؤل، ولا كافيًا في إبراز العجب في قصتهم، فتأتي الآيات بعدها لتعرض القصة بتفصيلها، ذاكرةً أحداثَها بترتيبها الزمني، مبتدئة ببيان حال هؤلاء النفر، الذين سيكون مدار القصة عليهم، والخطابُ للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15)) [الكهف: 13-15]، فيا محمد "إن الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف، الذين سألَكَ عن نبئهم الملأُ من مشركي قومك، فتيةٌ آمنوا بربهم، وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانًا وبصيرةً بدينهم، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل"[4].

كان الفتية مؤمنين بالله تعالى، يعيشون بين قومهم، في ظلال مدينة كافرة، تدين لحاكم ظالم كافر، فأخفوا إسلامهم حينًا من الزمن، ولكن الحال لم يبق على ذلك، فقاموا ليعلنوا ذلك الإيمان أمام الملأ، ورفْضَهم للخضوع إلا لله رب العالمين، وذلك "حين قاموا بين يدي الجبار دقيانوس، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته: ربنا ملك السماوات والأرض وما فيهما من شيء، وآلهتك مربوبة، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الربّ ونعبد المربوب ... فإنَّنا إن دعونا إلهًا غير إله السموات والأرض، لقد قلنا إذن بدعائنا غيرَه إلهًا: شططًا من القول، وغاليًا من الكذب"[5]، فحاربهم ذلك الملك، وأصدر لجنوده أمرًا باعتقالهم، فهربوا منه فرارًا بدينهم، معتزلين ذلك المكانَ إلى الكهف، قال تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17)) [الكهف: 16-17].

---

(1) مسلم: مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي (ص179).

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (ج15/121-136). والسعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص471-473). ومخلوف، صفوة البيان لمعاني القرآن (ص140). ومكي: مجد، المعين على تدبر الكتاب المبين (ص294-296). ومركز تفسير، المختصر في التفسير (ص294-296).

(3) الطبري، جامع البيان (ج17/600-601).

(4) الطبري، جامع البيان (ج17/615).

(5) المرجع السابق، ص615 (بتصرف).

وهم إذ فروا من الكفر إلى الإيمان، ومن الرخاء في العيش إلى الشدة والعسر في الكهف، هيأ الله تعالى لهم ذلك المكان المظلم ليكون رفيقًا بهم، وانتقل القرآن في التعبير من الغيبة إلى المخاطبة، ليُدخل القارئ إلى أجواء القصة، فكان الخطاب: أنِ الجأوا إلى الكهف "يبسُطْ لكم ويوسِّع عليكم ربكم ومالكُ أمرِكم من رحمته في الدارين، ويسهل لكم من أمركم الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين مرفقًا، وهو ما ترتفقون وتنتفعون به"[1]، فما لبثوا أن ناموا في ذلك المكان، في راحة وطمأنينة، ما كانوا ليشعروا بها لولا أن تولى أمرهم ربهم، بالرغم من حال الفرار التي هم فيها، من سطوة الملك الظالم وأعوانه.

وقد حفظهم الله تعالى في نومهم، وجعل لهم حرزًا من كل شر يتربص بهم؛ قال تعالى معبرًا عن حالهم: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) [الكهف: 18]، هكذا كانوا وهم في الكهف، تتقلب أجسادهم بإذن ربهم، إذا نظرت إليهم تحسبهم في يقظة، وما بهم إلا الرقود والنوم، حتى أن الله تعالى قذف الرعب في قلب كل من ينظر إليهم، فيفر خوفًا وهلعًا.

وبقي الأمر على حاله، الفتية نائمون في كهفهم، لا يستطيع أحد الوصول إليهم، مر يوم ويومان، شهر وشهران، مضت السنون الطوال، مات الملك الظالم، مات أعوانه من الجند، تغير الناس، حتى قدم أحفادهم، وأحفاد أحفادهم، إلى أن أذن الله تعالى لهم أن يبعثوا من جديد، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)) [الكهف: 19–20].

قاموا من نومهم يتساءلون: كم لبثنا؟ كم كانت مدة نومنا؟ ولعلهم شعروا بطولها بسبب ما ألمَّ بهم من شدة الجوع، ولكنْ، ظنوا أنهم ما جاوزوا يومًا واحدًا فقط، وما علموا أنَّ أمرًا عجبًا حصل لهم، وما علموا أنَّ الله تعالى اختارهم، ليُجري عليهم أمره، وليكونوا أهلًا لوقوع آية ربانية ومعجزة إلهية فيهم، يشهدها الناس، ويُشهد عليها الأمم إلى قيام الساعة، وقد كان ذلك للدلالة على قدرة الله تعالى ببعث الناس بعد موتهم.

تجاوز الفتية ذلك التساؤل، ليدركوا أنفسهم ألاَّ تهلك من شدة الجوع، فأرسلوا أحدهم إلى المدينة بمال لهم، وأوصوه بتحري الحلال من الطعام، وحذروه من سطوة الملك الظالم، وأن يتخفى في مسيره، حتى لا يُكشف أمره وأمر الفتية الهاربين، فتكون نهايتهم على يدي الملك، أو يُجبروا على ترك دينهم. ويا لبعد الحال الذي يحذرون منه، من الواقع الجديد الذي لم يظهر لهم بعد، فالملك مات هو وجنوده من مئات السنين، والفتية لا يعلمون.

وبعدها، ينتقل المشهد القرآني مباشرة، وبدون مقدمات، معرضًا عن التفصيل في أحداث القصة، لينتقل للحديث عن فترة لاحقة، وعن مشهد لعله يلي ذلك بكثير، فعرضت الآيات مشهدًا يصف حال الناس وهم يتنازعون بعد موت الفتية في كهفهم، يتشاورون فيما بينهم بما يصنعون، يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) [الكهف: 21].

وفي ختام القصة – كما عرضتها الآيات القرآنية – أوردت حديثًا عن عدد هؤلاء الفتية، كان نقاشًا يتداوله الناس بعد وفاتهم، فقائل: هم ثلاثة، وقائل: هم خمسة، ويعقّب على ذلك القرآن بأن عددهم في علم الله تعالى.

قال تعالى: (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) [الكهف: 22].

وبعدها يكون التعقيب النهائي على أحداث هذه القصة، بتوجيهات للنبي صلى الله عليه وسلم، يليها ذكر مدة لبث أصحاب الكهف، وعلم الله تعالى فيه، وتختم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن الكريم.

قال تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج211/5).

لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27)) [الكهف: 23-27].

ونلحظ في القصة ورود كثير من المبهمات، لم تذكر بالمصادر الصحيحة، وإنما وردت بطرق الإسرائيليات والمرويات غير الموثوقة، وقد جمع هذه المبهمات الدكتور صلاح الخالدي في كتاب "مع قصص السابقين في القرآن"، نذكر منها[1]:

1. الفترة الزمنية التي كانوا فيها، والديانة التي كانوا عليها.
2. عمل الفتية قبل أن يأووا إلى الكهف، فهل كانوا من علية القوم، أم لا؟
3. أسماؤهم وأعمارهم وكيفية التقائهم.
4. ما جرى لهم بعد العثور عليهم.

إلى غير ذلك من المبهمات التي سكت القرآن عن تفصيلها وبيانها، ولمن أراد أن يستوعبها جميعًا، الرجوعُ إلى الكتاب المذكور.

والمنهج المتبع في مثل ذلك، هو ألا نُثبت شيئًا منها، إلا ما جاءنا في كتاب الله تعالى، أو في الأحاديث الصحيحة، وعدم الخوض فيما لا طائل تحته، وما لا يبنى عليه عمل، فالبحث فيه من التكلف الذي نهينا عنه، حيث إن هذه الأخبار من الغيب، ولا تثبت الغيبيات إلا بنقل صحيح صريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(1) الخالدي، مع قصص السابقين (ج2/38).

المبحث الثالث: الهدايات التربوية

الهداية الأولى: مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والعطاء

أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب الكهف، وذلك في قوله: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) [الكهف: 13]، فعبر عنهم بأنهم "فِتْيَةٌ" وهي جمع "فتى"، وتعبِّر عن مرحلة الشباب[1].

وفي ذكر ذلك إشارةٌ إلى أن الفتية أصحابَ الكهف كانوا شبابًا في مقتبل أعمارهم، والناس غالبًا ما يكونون في هذا العمر، في أزهى أوقات حياتهم، تنفتح لهم الدنيا بأسرها، وهم في قوة ونشاط، وحيوية وحركة، حريصين لنيل رغباتهم، وتحقيق آمالهم.

ولكن الحال مع أولئك الفتية أنهم (آمَنُوا بِرَبِّهِمْ)، وتركوا ملذات حياتهم، فهم طلقوا الدنيا بأسرها، بمتعها وشهواتها، تركوها إلى كهف ضيق، فرارًا بدينهم، وتمسكًا بعقيدتهم، وثباتًا على موقفهم، وقد علموا أن قومهم حاربوهم لإيمانهم، فما تنازلوا، وما تخاذلوا، لم تغرِهم زهرة الدنيا ونعيمُها، ولا بهجتها وجمالها، وإنما أعلنوا موقفهم الحاسم دون تردد.

وقد عبر الشيخ الشعراوي عن ذلك المعنى بقوله: "ونلاحظ هنا أن هؤلاء المؤمنين الذين ضَحَّوْا بكلِّ شيء وفرُّوا بدينهم ما زالوا في مرحلة الشباب، وهو مظنّة الانشغال بالدنيا والحِرْص على مُتعها، أما هؤلاء فقد انشغلوا بدينهم منذ صِغَرهم ليكونوا قدْوة ومثَلًا للشباب المؤمن في كل زمان ومكان"[2].

ويستفاد من هذا أن مرحلة الشباب ذات حدين، فعنفوانها قد يغري بانحلالٍ للقيود، وتركٍ للمبادئ، وانكباب وراء الشهوات، في قوة وحيوية ونشاط، ولكنها في الميدان الخاطئ؛ قوةٌ تؤول إلى بطشٍ وظلمٍ للعباد، ونشاطٌ يسرع بالمرء في طرق الفساد.

وقد لا يكون شيء من هذا عند شاب مؤمن، يتشابه مع سابقه بالعمر وفي نوازعه النفسية، ولكنْ، شتان بينه وبين سالفه، ولا عجب، فإنه إذا وُجد الإيمان القوي، وتغلغلت العقيدة في النفوس، حينها تكون مرحلة الشباب، هي فترة الطاعة، والقوةِ في العبادة، والتمسك بالمبادئ والأخلاق، فتتوجه القوة لمواجهة الباطل، ومعاداتِ أعداء الله، كما كان حال هؤلاء الفتية.

وفي سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ما ورد عَنْ عَمْرو بْنِ مَيْمُونٍ، أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[3].

والناظر للسيرة أيضًا يجد أن جل المدافعين عن الإسلام كانوا من الشباب، وقد تحقق النصر للمسلمين – بعد توفيق الله تعالى – على يد الشباب، فكانوا هم المجاهدين، والقادةَ والفاتحين، ورافعي لواء رب العالمين، والمدافعين عن حياض المسلمين، فما طلبهم النبي صلى الله عليه وسلم لأمر إلا كانوا هم الملبين، حتى لو كان الأمر بخوض البحار، وترك الأهل والديار.

والشباب هم عامل التغيير والإصلاح، وما قامت الدعوات إلا على سواعد الشباب، ولا تحقق التغيير إلا بجهودهم، ولقد كان الشباب هم غالب أتباع الأنبياء والدعاة والمصلحين.

فعلى شباب الأمة إذن أن يأخذوا موقعهم، وأن يلبوا نداء فتوتهم، فلا يتركوا الساحة لصغير عاجز، أو شيخٍ هرم كبير، أو امرأةٍ ليس لها قوة، ولا في يديها حيلة، وعليهم أن يتكاتفوا للعمل في سبيل الله، في صف واحد، ولهدف واحد، خدمةً للدين الواحد.

وكذلك على المسلمين أن يربوا أبناءهم، ليعيشوا حياة الجد منذ الصغر، وأن يغرسوا فيهم معاني الرجولة في مقتبل أعمارهم، حتى يكون لهم أعظم الأثر في حياتهم، وحياة الآخرين على السواء.

---

(1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج473/4). والراغب، مفردات ألفاظ القرآن (ص625).

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج8852/14).

(3) [الحاكم: المستدرك، الرقاق/...، 341/4: رقم الحديث 7846، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه]. و[الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، التوبة والزهد/الترغيب في ذكر الموت وقصر الأمل...، 311/3: رقم الحديث 3355، وقال الألباني: صحيح].

الهداية الثانية: قوة العقيدة هي مفتاح الخير

ترتسم ملامح العقيدة واضحة على أولئك الفتية، وقد حرص التعبير القرآني على وسمهم بصفتهم الإيمانية؛ ففي بداية التعريف بهم، وصفهم بصفة الإيمان فقال: (آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) [الكهف: 13]، وعندما قاموا لمواجهة أعدائهم قالوا: (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) [الكهف: 14]، فما سر العقيدة التي عندهم؟.

إذا أردت أن تتعرف على هذه العقيدةِ التي يحملونها، والإيمانِ الذي يدينون به، فلك أن تتخيل حالهم إذ قاموا وهم أفراد قلائل، بمجابهة الكفر وأهله. مدينةٌ بأسرها، وحاكم متجبر ظالم، وأعوان له يزينون له فعله، وجنود ينتظرون أمر سيدهم ليبطشوا بمن شاء، وشعب لا يستطيع أن يقول كلمةً تغضب سيده، وكثير منهم فاسقون، وآخرون منافقون، يصفقون للظالم ويتملقون له، وبالرغم من كل هذا ليس معهم من الناس أحد؛ لا صديق يحميهم، ولا قريب يؤويهم.

ومع ذلك قاموا ليعلنوها على الملأ، فلا الحاكم خافوا، ولا أعوانه هابوا، ولم يؤثر بهم كل هذا الحال، الذي يدعوا إلى الخنوع والخضوع، أو حتى السكوت والرجوع.

وما ذلك إلا للإيمان الذي ملأ قلوبهم، والعقيدة التي غزت نفوسهم، فهم رفضوا أن تبقى العقيدة خبيئة النفوس، وسأموا من إخفاء الحق على سموه، ومن انتفاش الكفر على دنوه.

ويعبر الشهيد سيد قطب عن هذا الإيمان فيقول: "هنا ينكشف العجب في شأن القلوب المؤمنة.. فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم، ويهجرون ديارهم، ويفارقون أهلهم، ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة.. هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم.. هؤلاء يستروحون رحمة الله، ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة"[1].

هذه هي القلوب المؤمنة، والواجب على الأمة أن يقتدوا بأولئك الأفذاذ، الذين ملأوا قلوبهم بالإيمان، وعمروها بحب الواحد الديان، وأن يجعلوا نصيبًا من أوقاتهم، يجددون به إيمانهم، ويزيدون به صلتهم بربهم، وأن يتعاهدوا صغارهم بالتربية على معاني العقيدة، وغرس الاستعلاء الإيماني في النفوس، وتعريفهم بالدين الحق، وبطلان ما سواه.

ما هي ثمرة الإيمان؟

يجد الإنسان المؤمن ثمرة إيمانه في حياته، انشراحًا في الصدر، وطمأنينةً في القلب، وحلاوةً في الروح، وسكينةً في الجوارح، وبركةً في الوقت، وتوفيقًا في الأمر، إلى غير ذلك من أبواب الخير.

وإذا سألت عن الثمار التي جناها أصحاب الكهف لإيمانهم، فهي كثيرة منها:

أولًا: زيادة التثبيت من الله تعالى، قال تعالى: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) [الكهف: 13]، وذلك بأن "ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين، وأظهرنا لهم مكنوناتِ محاسنِه"[2]، وقد زادهم الله تعالى إيمانًا إلى إيمانهم، وثباتًا في طريقهم، ويسر لهم سبل الهداية، من بعد ما اختاروها بأنفسهم، يقول تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد: 17]، فمن اختار طريق الهداية، منَّ اللهُ تعالى عليه وثبته، وربط على قلبه وطمأنه.

ثانيًا: تدبير الله تعالى عنهم، بأن ألهمهم الذهاب إلى الكهف، حيث ينشر عليهم من رحمته، ويهيئ لهم ذلك المكان ليكون رفيقًا بهم، يقول تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) [الكهف: 16].

ثالثًا: حفظ الله تعالى لهم، ويتجلى ذلك في حفظ أجسادهم وهم نائمون، فأرسل أمرَه إلى تلك الأجساد بأن تتقلب يمينًا وشمالًا، ليتعرض الجسد بأكمله للهواء، فلا يتيبس من طول اللبث، ولا يتعفن من طول المكث، يقول تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) [الكهف: 18]، "قال بعض السلف: يقلبون في العام مرتين. وقال ابن عباس: لو

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2262/4).

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج242/4).

لم يقلبوا لأكلتهم الأرض"[1].

وحَفظهم الله تعالى كذلك، في بث الرعب في قلب كل من ينظر إليهم، فلا يجرؤون على القرب منهم، أو الظفر بهم، يقول تعالى: (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) [الكهف: 18]، "واختلفوا في أن الرعب كان لماذا؟ قيل: من وحشة المكان. وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتحة، كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد"[2]، وعلى أيٍّ من الأقوال، فإنه كان بحفظ الله لهم.

وحَفظهم في أن جعل ذلك الكهف الضيق مكانَ رحمة لهم، يقول تعالى: (وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا) [الكهف: 16]. لقد بدل الله تعالى لهم برحمته حال ذلك الكهف، فإذا به "فضاء فسيح رحيب وسيع، تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء.. إن الحدود الضيقة لتنزاح، وإن الجدران الصلدة لترق، وإن الوحشة الموغلة لتشف، فإذا الرحمة والرفق والراحة والارتفاق"[3].

رابعًا: تسخير القوى في الكون خدمة لهم، فالشمس مأمورة بأمر الله، تتحرك وفق حكمته، يقول تعالى: (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) [الكهف: 17]، "أخبر تعالى أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذَاتَ الْيَمِينِ) أي: يتقلص الفيء يمنة، وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها، حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان"[4]. كما قدر الله تعالى أن يكون كلبهم على عتبة الباب، باسط ذراعيه ونائم، يقول تعالى: (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) [الكهف: 18]، فمن يجرؤ على الاقتراب من الكهف والكلب يحرسه؟.

خامسًا: استجابة الدعاء لهم، وتفصيل ذلك في الهداية التالية.

الهداية الثالثة: الدعاء سر النجاح

بالرغم من قوة العقيدة التي امتلكها أولئك الفتية، فهم لم يغتروا بأنفسهم، ولم يستغنوا بإيمانهم، وإنما كان دعاؤهم من بداية الأمر: (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [الكهف: 10]. علموا أنهم ضعفاءُ ليس في أيديهم حيلة، ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فالتجأوا إلى صاحب القوة المتين، خاضعين بين يديه، معلنين فقرهم أمام غناه، وضعفهم أمام قوته. طلبوا من ربهم فاستجاب لهم، ومن كل ما سألوه إياه أعطاهم.

قالوا: (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً) [الكهف: 10] فأجابهم: أن ائووا إلى الكهف (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ) [الكهف: 16]، وقالوا: (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [الكهف: 10]، فزادهم فوق الرحمة (وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا) [الكهف: 16].

فعلى المسلم أن يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء في جميع أحواله، وأن يلبي نداء ربه: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: 60]؛ أي إن الله تعالى سيجيب جميع السائلين، بنص قوله الحكيم، فلا يظنَّنَّ أحدٌ أن الله تعالى لا يستجيب دعاءه، إلا بذنب أصابه، فإنه قد يحول بينه وبين الإجابة، ومن ذلك ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا ... ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[5].

والأمة الإسلامية اليوم، في أحوج حالاتها لتوفيق وعون من الله، فأعداؤها عليها يتكالبون، وأبناؤها شيعًا متفرقون، ولا يمكن

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج130/5).

(2) البغوي، معالم التنزيل (ج159/5).

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2262/4).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج129/5).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الزكاة/قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، 703/2: رقم الحديث 1015].

لأمرهم أن يجتمع، ولا لكلمتهم أن تتحد، إلا بجهد عظيم، وعمل مستمر دائم، بعد توفيق الله وإعانته.

وفوق كل ذلك، لا بد من الدعاء إلى الله تعالى أن ييسر للمصلحين أمرهم، وأن يجمع شملهم، وأن يصلح حال الشاردين من الأمة، وأن يضعف كيد المعتدين، ويرد كيدهم في نحرهم، وما ذلك على الله بعزيز، وهو ولي ذلك والقادر عليه، فأمره بين الكاف والنون، و(إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [مريم: 35].

الهداية الرابعة: ترك الانشغال بما لا يبنى عليه عمل

يجب على المسلم أن يكون حريصًا على وقته، فلا يضيعه إلا بالمفيد من الأقوال والأفعال، فالعمر محدود، والساعة التي تمضي لا تعود، وقد روي أن الحسن البصري رحمه الله يقول: ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني إذا مضيت، لا أعود إلى يوم القيامة[1].

ومن الحرص على الوقت، أن توازن بين الأمور، وأن تحدد الأولويات، فلا تقدم المفضول على الفاضل، ولا المهم على الأهم، ولا تقدم ما حقه التأخير، ولا تؤخر ما حقه التقديم، وأن تعطيَ كل ذي حق حقه.

ومن الحرص على الوقت، ترك سفاسف الأمور، وعدم الانشغال بما لا يبنى عليه عمل، وما قد يوقع صاحبه في الخطأ والزلل.

والمتأمل لقصة أصحاب الكهف، يجد إشارات تدل على نموذج عملي، لهذا الخلق العظيم، ولعل أولى هذه الإشارات، هو في ما دار بين الفتية في كهفهم، وذلك بعد استيقاظهم من نومتهم التي طالت، حتى شعروا بأمر غريب قد حصل، فتساءلوا: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) [الكهف: 19]، فكان تعقيبهم على هذا السؤال مباشرة: (قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) [الكهف: 19]، "وهو قَوْل الجماعة الذين أرادوا إنهاء الخلاف في هذه المسألة، فقالوا لإخوانهم: دعونا من هذه القضية التي لا تفيد، واتركوا أمرها لله تعالى. ودائمًا يأمرنا الحق سبحانه بأنْ ننقلَ الجدل من شيء لا ننتهي فيه إلى شيء، ونُحوله للأمر المثمر النافع"[2].

وفي موقف آخر، عندما حصل الخلاف في عدة أصحاب الكهف، عقبت الآيات على ذلك: (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ) [الكهف: 22]، وبعدها جاء التوجيه للنبي صلى الله عليه وسلم: (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) [الكهف: 22]، "أي: سهلًا هينًا؛ فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة"[3].

الهداية الخامسة: تحري الحلال في كل شيء

لبث أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة، وهم نائمون، فلما استيقظوا أصابهم الجوع، وشعروا بحاجة ملحة للطعام، ويدل على هذا، ما فعلوه بعد استيقاظهم مباشرة، إذ أرسلوا أحدهم بمال لهم، ليأتي لهم بما يسد حاجتهم.

وبالرغم من هذه الحاجة الملحة، فلم يسوغوا لأنفسهم أن يأتيَ لهم صاحبهم بأي طعام، وإنما كان توجيههم له بأن يأتي بالطعام الحلال، قال تعالى: (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) [الكهف: 19]. ففي عبارتهم هذه إشارتان تدلان على ذلك:

أولًا: إن فعل "فلينظر" يدل على: "وجوب النظر والبحث والتحري، وإحسان الاختيار، وهذا ألزم ما يكون عند انتشار الحرام، وسيادة الجاهلية، وقلة الحلال، فإن المسلم مطالب في هذه الحالة بالنظر والبحث عن الحلال، وألا يختار الحرام"[4].

ثانيًا: كلمة "أزكى طعامًا"، فإن الإمام ابن كثير أورد خلافًا في معناها، على عدة أقوال، وبعد ذلك رجح رأيًا واحدًا بقوله:

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء (ج303/2).

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج8863/14).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج135/5).

(4) الخالدي، مع قصص السابقين (ج76/2).

"والصحيح ... أن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال"[1].

وعلى العموم، فالمسلم مطالب بأن يتحرى الحلال في كل شيء، وأن يقتدي بأصحاب الكهف في تورعهم، بالرغم من شدة الحاجة عندهم، ففي الحلال غناء وبركة، وقد كان من دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما روي: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَنْ مَنْ سِوَاكَ»[2].

وأختم بحديث جامع للنبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»[3].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج132/5).

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات/...، 560/5: رقم الحديث 3563، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: حسن].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/فضل من استبرأ لدينه، 20/1: رقم الحديث 52]. و[مسلم: صحيح مسلم، المساقاة/أخذ الحلال وترك الشبهات، 1219/3: رقم الحديث 1599، واللفظ له].

المبحث الرابع: الهدايات الدعوية

الهداية الأولى: لا بد من فئةٍ تجهر بالدعوة

كثيرًا ما تكلم العلماء والفقهاء عن حكم الجهر بالدعوة، وقد أجمعوا على ضرورة وجود فئة تقوم به في الأمة الإسلامية، فعدوه من فروض الكفاية، التي يجب على الأمة أن تؤديها، بأن توجِد مجموعة من الدعاة، يحصل بهم كفاية الأمر، يقفون أمام العالم أجمع، ليعلنوا إسلامهم، ويدعوا غيرهم للدخول فيه، بإظهار معالم الدين الحق، والإسلام لله رب العالمين.

وهذا ما يتفق وحكمَ الله في الأرض، وحاكميتَه لها، فهو تعالى خلقها بقدرته، واستخلف الإنسان عليها بحكمته، وأمره أن يقيم فيها دينه، ولا يتحقق حكم الله تعالى، إلا من خلال نشر الدعوة الإسلامية والجهر بها، ودوام العمل في سبيلها، فعلى المسلم إذن أن يمتثل للأمر، ولا يحيد عنه، وإلا، فإنه يكون قد ترك سبب وجوده، وغفل عن مقصوده.

وفي قصة أصحاب الكهف، قام الفتية ليعلنوا على الملأ، براءتهم من الكافرين، وإسلامهم لله رب العالمين، دون خشية ولا وجل، يقول تعالى: (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) [الكهف: 14]. فالله تعالى ربط على قلوبهم، وأمدهم "بالصبر على هجر الأوطان والنعيم، والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسرهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام؛ إِذْ قامُوا بين يدي الجبار وهو دقيانوس، من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم"[(1)].

ثم هم "لم يكتفوا بمجابهة الجبار بعقيدتهم، بل ذكروا بطلان عقيدة غيرهم فقالوا مبطلين الشرك: (هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) [الكهف: 15]، (هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا)، الإشارة إلى الذين عاصروهم ممن كانوا على دين الجبابرة في عصرهم"[(2)].

وقد أظهرت الآيات قوة إيمانهم، ورباطة جأشهم، وثبات عقيدتهم، ورسوخ يقينهم، فهم يعلمون أن نتيجة كلامهم هذا هو الموت، وأن حياتهم ستبدأ صفحة جديدة، فيها من المعاناة الكثير، ومن الألم ما يعجز عن تحمله الأشداء، ومن العذاب ما يعجز عن حمله الأقوياء.

وبالرغم من ذلك، فقد آثروا الباقي النفيس، على العاجل الفاني الرخيص، باعوا نفوسهم لله، وأرادوا الثمن في الآخرة، ضحوا بأرواحهم، وبما يملكون في حياتهم، في سبيل نشر هذا الدين، والجهر به أمام العالمين. ولمن أراد أن يبلغ ذلك المقام، أن يقتدي بما فعلوه، وأن يقتفي أثرهم فيما صنعوه.

الهداية الثانية: الحرب حرب العقيدة

المسلم لا يحارب إلا عن عقيدة، ولا يقاتل إلا عن دين، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: «الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[(3)].

فمن كان يحارب عن حمية وطنية، فسيقاتل في سبيل وطنه، ولو كان وطنه لا يقيم شرع الله، ومن كان يقاتل عن حمية قومية من عشيرة وقبيلة، فسيقاتل في سبيلهم، ولو لم يقيموا حدود الله، أما من كان يقاتل في سبيل دين الإسلام، وأراد لكلمة الله أن تكون هي العليا، فهو في سبيل الله، وإذا مات كان موته شهادة في سبيل الله.

والناظر لقصة أصحاب الكهف، يجد وضوحًا كبيرًا، في الراية التي حملها أولئك الفتية، وتحدَّوا أعداءهم بها، فمن بداية القصة، وعندما أراد الله تعالى تعريفَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم بهم، قال: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) [الكهف: 13]. وبعد أن ربط الله

(1) الزمخشري، الكشاف (ج707/2).

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج4502/9).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/قوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ} [الصافات: 171]، 136/9: رقم الحديث 7458، واللفظ له]. و[مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، 1512/3: رقم الحديث 1904].

تعالى على قلوبهم وثبّتهم، لم يهدؤوا حتى أعلنوا هويتهم، وكشفوا اللثام عن رايتهم: (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) [الكهف: 14].

بل وأكثر من ذلك، فهم أرادوا تعليل حربهم لأعدائهم، وما كان سببًا في عدائهم لهم، فقالوا ببيان لا يحمل التأويل، ولا يجعل لمُنكِرِه سبيل: (هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) [الكهف: 15].

وهناك إشارة أخرى، تزيد الأمر وضوحًا إلى وضوحه، وتبين بشكل صريح، طبيعة الحرب بين الفريقين، وهي في قوله تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) [الكهف: 16]؛ "أي اعتزلتموهم واعتزلتم عبادتهم، بل إن اعتزالكم عبادتهم هو السبب الجوهري، والباعث على اعتزالهم فإيمانكم قدمتموه على القرابة والقومية"[1]؛ فقد علل الله تعالى في هذه الآية فراقَ الفتية لقومهم، وذكرَ السبب المباشر لاعتزالهم لهم، وهو أنهم يعبدون غير الله عز وجل، ويتوجهون إلى غيره بالعبادة والطاعة.

وأيضًا، ففي ختام القصة والتعقيب عليها، أورد قوله تعالى: (مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) [الكهف: 26].

بهذا الوضوح، وبهذه الصراحة، يجب على أرباب العمل الدعوي أن يكونوا، فلا تلوُّنَ ولا التباس، ولا مواربةَ ولا مهادنة – فيما يكون من أمرِ الإسلام والعقيدة، ولا تنازل عن ثابت من ثوابت هذا الدين، لأن القضية إما إيمان بالله رب العالمين، والتزامٌ بجميع ما شرعه في دينه للعالمين، أو الكفرُ به، واتباعُ سبيل غيرِ سبيله.

الهداية الثالثة: الثقافة الأمنية ضرورية للبقاء

الحيطة والحذر أمران مهمان لكل عمل له خصوم، والعمل الإسلامي لن تنتهي خصومه على مدى الزمان، وسيبقى التدافع بين ملة الكفر وملة الإسلام. يقول تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) [البقرة: 251].

وإن أعداء الإسلام ليكيدون ضده، ويتربصون الدوائر به وبأهله، مستخدمين كل وسيلة تحقق مآربهم، حتى لو كانت بقتل أو تعذيب أو سجن، وهم يدبرون بخفاء، ويخططون بسرية، فإذا لم يكن الدعاة المسلمون على وعي تام، يُخشى أنْ يَنالهم الأعداء بما دبروه، وأن يصلهم الأذى من سوء ما خططوا له، فالوعي سبب مهم للبقاء، وضرورة ماسة لاستمرارية العمل.

وقد كان الوعي عند أصحاب الكهف، هو ما جعلهم يوصون من أراد أن يشتري لهم الطعام، بالحذر من بطش الملك وأعوانه، على ظن منهم أن الحال مازال على هيئته حين فروا بدينهم، فالوصية تدل على حكمة وحنكة، إذ قالوا: (وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) [الكهف: 19]، وعللوا وصيتهم تلك بقولهم: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا) [الكهف: 19].

ففي كلمة "وَلْيَتَلَطَّفْ": قال البغوي: "وليترفق في الطريق وفي المدينة، وليكن في ستر وكتمان"[2]. وقال النسفي: "وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن، أو في أمر التخفي حتى لا يعرف"[3].

وفي قوله: (وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) [الكهف: 19]: تأكيد على ما نقلناه من معنى كلمة (وَلْيَتَلَطَّفْ)، فهم حريصون على ألا يُعلم أمرُهم، ولا يُكتشف مكانهم، فتكون نهايتهم التعذيب أو القتل، أو الإكراه على ترك الدين.

الهداية الرابعة: الباطل هو المتهم

إنَّ على المدعي أنْ يثبت صدق دعواه، وأن يؤيد قوله بالدليل والبرهان، وهذا منهج قرآني دائم، إذ ما من نبي إلا وقد جعل الله تعالى له ما يصدقه، وأعطاه من البراهين ما يثبت حجته، ومن الأدلة ما يؤيد قوله، وفي حوار الأنبياء مع أقوامهم كانوا يطالبونهم بالدليل.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج4503/9).

(2) البغوي، معالم التنزيل (ج160/5).

(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج292/2).

وقد فقه أصحاب الكهف هذه القضيةَ الهامة، فطالبوا قومهم بالدليل: (هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) [الكهف: 15]، قالوا لهم: إيتونا بسلطان مبين "أي: بحجة وبرهان، على ما هم عليه من الباطل، ولا يستطيعون سبيلًا إلى ذلك، وإنما ذلك افتراءٌ منهم على الله، وكذبٌ عليه، وهذا أعظم الظلم، ولهذا قال: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)"[1].

لقد عاملهم الفتيةُ معاملةَ مَن في قفص الاتهام، وهو يحاول جاهدًا رد السهام عنه، ولا يجد لردها سبيلًا، ولا يملك لمسارها تحويلًا، إذ إنه في مواجهة الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي حرب مع الله تعالى، من لا يتبدل أمره إلا بأمره.

بل وزيادة على ذلك، فقد وصف الفتيةُ أهلَ الباطل بصفة الكذب؛ والكاذبُ هو الذي يغير الحقائق، ويزيف الواقع، ويخالف الصواب، وهو الغريب عما حوله، بل هو النشاز في المجتمع.

ونستفيد من قولهم ذلك درسًا مهمًا، يُنبي عن منهج دعوي أصيل، ليكون لنا منهجًا في ميادين العمل الدعوي، منبثقٍ من كون الإسلام هو الدين الحق، وأنه هو الصدق والصواب، وأن ما عداه هو الباطل، وفيه الكذب والادعاء، وهو أن العلوَّ والرفعة للمؤمنين، والذلَّ والصغار لأعداء هذا الدين، وذلك سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات.

فعلى مستوى الأفراد، لا بد للمؤمن أن ينظر إلى عدوه بعزة الإيمان، رافعًا رأسه كالجبل، شامخًا في عُلوّه لا يَذِلُّ، يملك معنوية عالية، يسير بعزم وثبات، لا يكِلُّ ولا يمَلُّ، ولا يُطأطئ لأحد هامَه، ولا يُخضع لمخلوقٍ جبينَه، إلاَّ لله الذي خلقَه. وعلى مستوى الجماعات، فيجب على أرباب العمل الدعوي، أن ينقلوا ساحة المعركة إلى ميدان الخصوم، فلا يُبقوا الإسلامَ في دائرة الدفاع، بل يبادروا للهجوم.

الهداية الخامسة: الداعية أجيرٌ له أجره، وللدعوة مالكها

في نهاية هذه القصة العظيمة، وبعد أن اكتشف الناس أمر أولئك الفتية، يُسدل الستار على أحداثها بطريقة غريبة، فقد كتب الله تعالى عليهم الموت، ولكنه هذه المرة بصورته الحقيقية الدائمة، وذلك بعد أن أجرى الله تعالى عليهم آيته، وأراهم فضله، وشاهدوا هلاكَ كل من عاداهم، وموتَ كلِّ مَن أراد الموت لهم.

ولكنَّ الله تعالى أراد أن يوصل رسالة للعالمين، وهي قدرتُه على بعث الناس بعد موتهم، وانتهى دور أولئك الفتيةِ بعد ذلك، فقدّر الله تعالى بحكمته أن يُكشف أمرهم، يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا) [الكهف: 21]، أي: "وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم، كهيئتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة – كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر، الذين كانوا في شكّ من قُدرة الله على إحياء الموتى، وفي مِرْية من إنشاء أجسام خلقه، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البِلَى، فيعلموا أن وَعْد الله حق، ويُوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها"[2].

أي أن الله تعالى أمضى أمره، وسير الأحداث وفق ما يريد، فحين أراد لأولئك الفتية أن يكونوا دليلًا على البعث، وحجة للدعاة على قدرة الله، أبقاهم نائمين، ولم يبلِ أجسادهم على طول السنين، وهيأ لهم الكهف وجعله رفيقًا بهم، وأمر الشمس لتكون سلامًا لهم، وقذف الرعب في قلب كل من اقترب منهم، وجعل الكلب على هيئة الحارس عندهم، هذا كله تنفيذًا لقدر الله، وإمضاءً لحكمة الله.

أما وإذ أراد الله للناس أن يشهدوا قصتهم، عندما كان أهل المدينة في شك من البعث، ومن قدرة الله على الإحياء بعد الإماتة – أيقظ الله الفتية من نومهم بعد طول رقاد، وجعلهم يرسلون أحدهم إلى المدينة حيث أولئك الناس؛ ليجلبَ لهم الطعام، وأجرى قدره ليعرف الناس ذلك الرجل. هذا كله ليشهدوا معجزة الله تعالى، وقدرته في البعث بعد الموت.

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص472).

(2) الطبري، جامع البيان (ج17/639-640).

وعندما انتهى دور أولئك الفتية، قبض الله تعالى أرواحهم، وأنهى حياتهم.

والسؤال هنا.. هل حدد أصحاب الكهف شيئًا من هذه الأحداث التي جرت لهم؟ وهل كان لهم بالحسبان أن يناموا ويستيقظوا فيرَوا أعداءهم قد ماتوا؟ وهل كان في ظنهم أنهم سيكونون محلًا لآية الله تعالى لإثبات قدرته؟ وهل خططوا لتصل دعوتهم الآفاق ولتبلغ الناس على مدى القرون؟ وهل علموا أنهم سيرون نصر دين الله تعالى على الجبابرة والكافرين؟

والإجابة عن جميع تلك الأسئلة.. لا، فلم يكن بعلمهم شيء من ذلك.

والمقصود: قد يستخدمك الله تعالى لدينه، وعاملًا في مركب الدعوة لديه، فعليك أن تمتثل أمر مولاك، وتؤمن به وتلتزم منهجه، وهو يفعل بك ما يشاء، فقد ينصرك، وقد يُنهي حياتك قبل أن ترى النصر، وقد تُهزم في مواجهة الباطل، لا عليك، ما دمت تعمل إليه، وقد بعت نفسك بالجنة التي لديه، فاقبض الثمن، وليفعل الله تعالى بدعوته ودينه ما يشاء.

فأنت أيها الداعية أجير عند مولاك، وهو يسير الأحداث وفق حكمته، وهناك سنن لهذا الكون، وإن مركب الدعوة يسير وفق إرادته.

خاتمة

في ختام هذا البحث، أذكر ما وصلت إليه من نتائج وتوصيات:

أولًا: النتائج:

- الهدايات القرآنية: هي الدلالات المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر.
- دلت الروايات على أن قصة أصحاب الكهف نزلت نتيجة سؤال المشركين لنبي الله صلى الله عليه وسلم بتوجيه من يهود؛ ليختبروا صدقه صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة.
- لسورة الكهف عدة مقاصد عليا، أبرزها:
  - إصلاح الحياة الدنيا بالنظام الرباني الذي أقامه الله تعالى فيها.
  - تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة.
  - بيان الصراع بين عقيدة الإيمان بالمادة وما يتبعها، وبين الإيمان بالله وبالغيب.
- احتوت قصة أصحاب الكهف على هدايات تربوية، يهتدي بها المربون والعاملون في المؤسسات التربوية، وترشدهم لصياغة مناهجهم وتوجيه مسارهم. ومن أبرز تلك الهدايات: الاهتمام بمرحلة الشباب، والاعتناء بقوة الإيمان وبناء العقيدة، والحرص على الدعاء، وترك الانشغال بما لا يبنى عليه عمل.
- احتوت قصة أصحاب الكهف على هدايات دعوية، ترشد كل داعية وكل عامل في نطاق الدعوة الإسلامية لصياغة منظومة عمله، ومنهج دعوته. ومن أبرز تلك الهدايات: ضرورة وجود فئة تجهر بالدعوة، وبيان أن الحرب مع أعداء الله في حقيقتها هي حرب عقيدة، والاهتمام بالثقافة الأمنية في ميدان مجابهة الباطل.

ثانيًا: التوصيات:

- على كل مسلم أن يضع القرآن الكريم نصب عينيه، كمربٍّ له، وضابط لسلوكه، ومقوم للطريق التي يسلكها، في تربية نفسه على معاني الإيمان والأخلاق السامية.
- على المربين أن يعودوا لكتاب الله تعالى ليستفيدوا من تعاليمه، وينهلوا من نبعه الفياض، ما يكون دليلًا لهم، لتربية هذا الجيل، ما يضمن له السعادة في الدنيا والآخرة.
- على الدعاة أن يستفيدوا من كتاب ربهم، وما ورد فيه من تعاليم، تعينهم في وضع مناهجهم، وتحديد مسارهم، ليكون العمل الدعوي، سائرًا على طريق سويّ، لا يحيدون به عن فقه الدعوة الأصيل، الذي مشى في طريقه سلف هذه الأمة، ودعاتها الربانيون على مر الزمان.
- على الدارسين والباحثين في القرآن الكريم أن يسبروا أغوار هذا الكتاب العظيم، ويبحثوا عن هداياته وإرشاداته، كلٌّ في مجاله، فالمشتغل بالتربية يبحث في الهدايات التربوية، والدعوي يفتش عن الإرشادات الدعوية، والسياسي يكشف أسرار الكتاب وتوجيهاته لعالم السياسة، وبهذا يكون القرآن الكريم هدى للناس أجمعين.

أسأل الله تعالى أن يَفيدَ من هذا البحث كلُّ من قرأه، وأن يجعله عونًا له في طريق الحق والخير.

هذا.. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

1. ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار. (1398هـ). *سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)*. تحقيق: سهيل زكار. ط1. بيروت: دار الفكر.
2. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله أبو نعيم. (1394هـ). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.
3. الأصفهاني، الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب. (1412هـ). *مفردات ألفاظ القرآن*. تحقيق: صفوان الداوودي. ط1. دمشق: دار القلم.
4. الألباني، محمد ناصر الدين. (1421هـ). *صحيح الترغيب والترهيب*. ط1. السعودية: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
5. الأندلسي، محمد بن يوسف أبو حيان. (1420هـ). *البحر المحيط*. تحقيق: صدقي محمد جميل. (د. ط). بيروت: دار الفكر.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*. تحقيق: محمد زهير الناصر. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.
7. البغوي، الحسين بن مسعود أبو محمد. (1417هـ). *معالم التنزيل*. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون. ط4. القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع.
8. البقاعي، إبراهيم بن عمر. (د. ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. (د. ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
9. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى. (1395هـ). *سنن الترمذي*. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
10. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر. (1407هـ). *المفتاح في الصرف*. تحقيق: علي توفيق الحَمَد. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
11. الجرجاني، علي بن محمد الشريف. (1403هـ). *التعريفات*. تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
12. الجوهري، إسماعيل بن حماد أبو نصر. (1407هـ). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط 4. بيروت: دار العلم للملايين.
13. الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله. (1411هـ). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
14. الخالدي، صلاح بن عبد الفتاح. (2007م). *مع قصص السابقين في القرآن*. ط5. دمشق: دار القلم.
15. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.
16. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. (د. ت). *زهرة التفاسير*. (د. ط). مصر: دار الفكر العربي.
17. ابن السراج، محمد بن السري أبو بكر. (د. ت). *الأصول في النحو*. تحقيق: عبد الحسين الفتلي. (د. ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.
18. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1420هـ). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

19. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل. (1405هـ). *لباب النقول في أسباب النزول*. تحقيق: إبراهيم العجوز. ط1. بيروت: دار إحياء العلوم.
20. الشرقاوي، أحمد بن محمد. (2005م). تأملات في قصة أصحاب الكهف. *المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق*. (18)، 446-488.
21. الشعراوي، محمد متولي. (1997م). *تفسير الشعراوي*. (د. ط). مصر: مطابع أخبار اليوم.
22. الطبري، محمد بن جرير. (2000م). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: أحمد شاكر. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
23. الطيار، مساعد بن سليمان. (1427هـ). *مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر*. ط2. السعودية: دار ابن الجوزي.
24. عابدين، طه، وقاري، ياسين، والزبير، فخر الدين. (1438هـ). *الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية*. ط1. الدمام: مكتبة المتنبي.
25. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1984م). *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*. (د. ط). تونس: الدار التونسية للنشر.
26. العمادي، محمد بن محمد أبو السعود. (د. ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
27. ابن فارس، أحمد بن فارس أبو الحسين. (1399هـ). *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام هارون. (د. ط). بيروت: دار الفكر.
28. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت). *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. (د. ط). بيروت: دار ومكتبة الهلال.
29. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين أبو طاهر. (1426هـ). *القاموس المحيط*. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة.
30. قطب، سيد. (2004م). *في ظلال القرآن*. ط34. القاهرة: دار الشروق.
31. ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء. (1419هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
32. الكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء. (2012م) *الكليات*. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.
33. المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس. (د. ت). *المقتضب*. تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة. (د. ط). بيروت: عالم الكتب.
34. مخلوف، حسنين محمد. (1402هـ). *صفوة البيان لمعاني القرآن*. ط2. القاهرة: مطابع الشروق.
35. المراغي، أحمد بن مصطفى. (1365هـ). *تفسير المراغي*. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
36. مركز تفسير، جماعة من علماء التفسير. (1436هـ). *المختصر في تفسير القرآن الكريم*. ط3. السعودية: مركز تفسير للدراسات القرآنية.
37. مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري. (د. ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
38. مكي، مجد بن أحمد. (1431هـ). *المعين على تدبر الكتاب المبين*. ط2. جدة: دار نور المكتبات للنشر والتوزيع.
39. الندوي، علي الحسني أبو الحسن. (د. ت). *تأملات في سورة الكهف – الصراع بين الإيمان والمادية*. (د. ط). الكويت: دار القلم.
40. النسفي، عبد الله بن أحمد أبو البركات. (1419هـ). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط1. بيروت:

دار الكلم الطيب.
41. نكري، عبد النبي بن عبد الرسول القاضي الأحمد. (1421هـ). *دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
42. النيسابوري، علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي. (1411هـ). *أسباب نزول القرآن*. تحقيق: كمال بسيوني زغلول. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
43. النيسابوري، علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي. (1412هـ). *أسباب نزول القرآن*. تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. ط2. الدمام: دار الإصلاح.
44. الهلالي، سليم بن عيد، وآل نصر، محمد بن موسى. (1425هـ). *الاستيعاب في بيان الأسباب*. ط1. الدمام: دار ابن الجوزي.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Ibn Ishaq, Muhammad Ibn Ishaq Ibn Yasar. (1398 AH). The Biography of Ibn Ishaq (The Book of Al-Sir and Al-Maghazi). (in Arabic). Investigation: Sohail Zakkar. i 1. Beirut: Dar Al-Fikr.

2. Al-Asbahani, Ahmed bin Abdullah Abu Naim. (1394 AH). Ornament of the saints and the layers of the righteous. (in Arabic). (Dr. i). Beirut: Arab Book House.

3. Al-Isfahani, Al-Hussein bin Muhammad Abu Al-Qasim Al-Ragheb. (1412 AH). Vocabulary of the words of the Qur'an. (in Arabic). Investigation: Safwan Daoudi. i 1. Damascus: Dar Al-Qalam.

4. Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din. (1421 AH). True enticement and intimidation. (in Arabic). i 1. Saudi Arabia: Knowledge Library for Publishing and Distribution.

5. Andalusian, Muhammad bin Yusuf Abu Hayyan. (1420 AH). ocean sea. (in Arabic). Investigation: Sidqi Muhammad Jamil. (Dr. i). Beirut: Dar Al-Fikr.

6. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah. (1422 AH). Al-Masnad Al-Sahih .(in Arabic). Investigation: Muhammad Zuhair Al-Nasser. i 1. Beirut: Dar Touq Al Najat.

7. Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud Abu Muhammad. (1417 AH). Download parameters. (in Arabic). Investigation: Muhammad Abdullah Al-Nimr and others. I 4. Cairo: Dar Tiba for Publishing and Distribution.

8. Al-Buqa'i, Ibrahim bin Omar. (D.T). Al-Durar systems in proportion to verses and surahs. (in Arabic). (Dr. i). Cairo: Islamic Book House.

9. Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa Abu Issa. (1395 AH). Sunan al-Tirmidhi. (in Arabic). Investigation: Ahmed Mohamed Shaker and others. i 2. Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company.

10. Al-Jurjani, Abdul Qaher bin Abdul Rahman Abu Bakr. (1407 AH). The key is in the exchange. (in Arabic). Investigation: Ali Tawfiq Al-Hamad. i 1. Beirut: Al-Resala Foundation.

11. Al-Jurjani, Ali bin Muhammad Al-Sharif. (1403 AH). Tariffs. Investigation: A group of scholars under the supervision of the publisher. (in Arabic). i 1. Beirut: Scientific Books House.

12. Al-Jawhari, Ismail bin Hammad Abu Nasr. (1407 AH). Asahah crown Arabic language and sanitation. (in Arabic). Investigation: Ahmed Abdel Ghafour Attar. I 4. Beirut: House of Science for Millions.

13. Al-Hakim, Muhammad bin Abdullah Abu Abdullah. (1411 AH). The apprentice is correct. Investigation: Mustafa Abdel Qader Atta. (in Arabic). i 1. Beirut: Scientific Books House.

14. Al-Khalidi, Salah bin Abdel-Fattah. (2007 AD). With ex stories in the Qur'an. (in Arabic). i 5. Damascus: Dar Al-Qalam.

15. Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed. (1407 AH). Uncover the facts of the mysteries download. (in Arabic). i 3. Beirut: Arab Book House.

16. Abu Zahra, Muhammad bin Ahmed bin Mustafa bin Ahmed. (D.T). Interpretation flower. (in Arabic). (Dr. i). Egypt: Arab Thought House.

17. Ibn al-Siraj, Muhammad ibn al-Sari Abu Bakr. (D.T). Asset in grammar. (in Arabic). Investigation: Abdul-Hussein Al-Fatli. (Dr. i). Beirut: Al-Resala Foundation.

18. Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser. (1420 AH). Facilitate the Holy Rahman in the interpretation of the words of Mannan. (in Arabic). Investigation: Abdul Rahman bin Mualla. i 1. Beirut: Al-Resala Foundation.

19. Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr Abu Al-Fadl. (1405 AH). The door to say the reasons for the descent. (in Arabic). Investigation: Ibrahim Al-Agouz. i 1. Beirut: House of Revival of Sciences.

20. Al-Sharqawi, Ahmed bin Mohammed. (2005 AD). Reflections on the story of the Companions of the Cave. (in Arabic). The Scientific Journal of the Faculty of Fundamentals of Religion and Advocacy in Zagazig. (18), 446-488.

21. El Shaarawy, Mohamed Metwally. (1997 AD). Shaarawy's interpretation. (in Arabic). (Dr. i). Egypt: Akhbar Al-Youm Press.

22. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir. (2000 AD). Collector statement on the interpretation of any Qur'an. (in Arabic). Investigation: Ahmed Shaker. i 1. Beirut: Al-Resala Foundation.

23. The pilot, Musaed bin Suleiman. (1427 AH). The concept of interpretation, interpretation, deduction, reflection and interpreter. (in Arabic). i 2. Saudi Arabia: Ibn al-Jawzi House.

24. Abdeen, Taha, Qari, Yassin, and Zubair, Fakhreddin. (1438 AH). Al-Heddat Al-Quran an authentic study. (in Arabic). i 1. Dammam: Al Mutanabbi Library.

25. Ibn Ashour, Muhammad al-Taher bin Muhammad. (1984 AD). Liberation and Enlightenment "Liberating the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Explanation of the Glorious Book." (in Arabic). (Dr. i). Tunisia: Tunisian publishing house.

26. Al-Emadi, Muhammad bin Muhammad Abu Al-Saud. (D.T). Guiding a sound mind to the advantages of the Holy Book. (in Arabic). (Dr. i). Beirut: Arab Heritage Revival House.

27. Ibn Faris, Ahmed bin Faris Abu Al-Hussein. (1399 AH). language standards. (in Arabic). Investigation: Abdel Salam Haroun. (Dr. i). Beirut: Dar Al-Fikr.

28. Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed. (D.T). Eye book. (in Arabic). Investigation: Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai. (Dr. i). Beirut: Al-Hilal House and Library.

29. Al-Firouzabadi, Muhammad bin Yaqoub Majd Al-Din Abu Taher. (1426 AH). Ocean Dictionary. (in Arabic). Investigated by: Muhammad Naim Al-Arqossi. I 8. Beirut: Al-Resala Foundation.

30. Qutb, Mr. (2004 AD). In the shadows of the Qur'an. (in Arabic). i 34. Cairo: Dar Al-Shorouk.

31. Ibn Katheer, Ismail bin Omar Abu Al-Fida. (1419 AH). Interpretation of the Great Qur'an. (in Arabic). Investigation: Muhammad Husayn Shams al-Din. i 1. Beirut: Scientific Books House.

32. Al-Kafwi, Ayoub bin Musa Abu Al-Baqa. (2012) Faculties. (in Arabic). Investigation: Adnan Darwish and Muhammad Al-Masry. i 2. Beirut: Al-Resala Foundation.

33. The coolant, Muhammad bin Yazid Abu al-Abbas. (D.T). laconic. (in Arabic). Investigation: Muhammad Abdul Khaliq Azimah. (Dr. i). Beirut: The World of Books.

34. Makhlouf, Hassanein Muhammad. (1402 AH). Elite statement for the meanings of the Qur'an. (in Arabic). i 2. Cairo: Al-Shorouk Press.

35. Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa. (1365 AH). Maraghi interpretation. (in Arabic). i 1. Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons Library and Press.

36. Interpretation Center, a group of scholars of interpretation. (1436 AH). Manual of Interpretation of the Holy Qur'an. (in Arabic). i 3. Saudi Arabia: Interpretation Center for Quranic Studies.

37. Muslim, Ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri. (D.T). Al-Musnad Al-Sahih Brief Transfer of Justice from Justice to the Messenger of God, (in Arabic). peace be upon him Investigation: Mohamed Fouad Abdel Baqi. (Dr. i). Beirut: Arab Heritage Revival House.

38. Makki, Majd bin Ahmed. (1431 AH). appointed to manage the book shown. (in Arabic). i 2. Jeddah: Dar Noor Al-Makatabat for Publishing and Distribution.

39. Al-Nadawi, Ali Al-Hasani Abu Al-Hassan. (D.T). Reflections on Surat Al-Kahf - The conflict between faith and materialism. (in Arabic). (Dr. i). Kuwait: Dar Al-Qalam.

40. Al-Nasafi, Abdullah bin Ahmed Abu Al-Barakat. (1419 AH). Download Perceptions and Interpretation Facts. (in Arabic). Investigation: Youssef Ali Badawi. i 1. Beirut: The Good Word House.

41. Nakri, Abd al-Nabi ibn Abd al-Rasoul al-Qadi al-Ahmad (1421 AH). Constitution of scholars = collector of science in the conventions of the arts. (in Arabic). i 1. Beirut: Scientific Books House.

42. Al-Nisaburi, Ali bin Ahmed Abu Al-Hassan Al-Wahidi. (1411 AH). Reasons for the revelation of the Qur'an. (in Arabic). Investigation: Kamal Bassiouni Zaghloul. i 1. Beirut: Scientific Books House.

43. Al-Nisaburi, Ali bin Ahmed Abu Al-Hassan Al-Wahidi. (1412 AH). Reasons for the revelation of the Qur'an. (in Arabic). Investigation: Issam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan. i 2. Dammam: Dar Al-Islah.

44. Al-Hilali, Salim bin Eid, and Al Nasr, Muhammad bin Musa. (1425 AH). Understanding the reasons. (in Arabic). i 1. Dammam: Ibn al-Jawzi House.